هوية مصر في العهد القديم

دراسة في أثر النص الديني على الفكر السياسي

محمد محمد علي صالحين(*)

مقدمة

تعد قضية «الهُوِيَّة» من أصعب القضايا التي تواجه كثيرًا من الشعوب في الوقت الحالي، يستوي في ذلك: المجتمعات الحديثة، والأمم ذات الأصول الحضارية الضاربة بجذروها في أعماق التاريخ!

وقد اخترتُ البحث في هذه القضية: «هوية مصر في نصوص العهد القديم: لاختبار عدة فروضٍ فكرية منها:

- أن هويـةَ مصر -في الفكر الديني اليهودي- تصلُ إلى حد التناقض مع الهوية المصرية الذاتية للمصريين.
- أنَّ الفكرَ السـياسيَّ اليهوديَّ ينطلـقُ من عقيدةٍ دينيةٍ، وأن الشـذوذَ عن هذه القاعدة يؤكدها ولا ينفيها، كما أن التطبيقاتِ السياسيةَ محضُ اجتهادٍ فرديٍّ أو جماعيٍّ قد يحيدُ عن السبيل، لكنه لا يضلُ الطريق كليةً إليها.
- أنَّ الوجـودَ الإسرائيليَّ في مصرَ لم يكـنْ يتمتعُ بالشرعيةِ الكاملةِ، ولم يشـجعِ العهدُ القديمُ على استمرارِه، بل على العكس كان دائمَ التبرمِ بهذه الإقامة، غيرَ راغبٍ فيها.
- أنَّ وجودَ أنبياءَ من بني إسرائيل في مصر- كيعقوب، ويوسـف، وموسى- لم يعطِ لهم الحقَّ في المطالبة بحقوقٍ سياسيةٍ في أرض مصر، لكنهم لجؤوا إلى حيلةٍ أخرى؛ وهي التمسـكُ بالوعد الإلهي لإبراهيمَ بوراثةِ نسلِهِ هذهِ الأرضَ؛ على أساسِ تفسيرٍ خاصٍّ

(*) أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة المنيا

بهم تمامًا، في تأويل هـذا الوعد، من ناحيـة، وتنزيله على أرض الواقـع، من ناحية أخرى!

- وجـود آثـار تطبيقية لهذا الفكـر التنظيري الديـني اليهودي، في التعامل السـياسي في العصر الحديث في ظل ادعاء التعايش السـلمي المزعوم، و إسـقاط كل ما سبق على واقـع القضية العربية الإسرائيلية الآن، خاصة أن المزاعـم الصهيونية تتمحور حاليًا حول النص الديني، في محاولة مكشوفة تمامًا؛ لتديين الصراع، بل تهويده!

وهذا السبب الأخير في الواقع هو الدافع الرئيس في كتابة هذا البحث؛ لأن الدراسات الفلسفية ينبغي أَنْ تأخذَ دورَها العمليَّ، في واقع الناس ومشكلاتهم، بدلًا من أنْ تبقى مُحَوِّمَةً في الفراغ غير المرئي؛ للأفراد، والأمم، والشعوب!

ومن ثَمَّ جاء هذا البحث في ثلاثة محاور:

[١] محاولة بناء مفهوم للهوية؛ لغةً، واصطلاحًا، ومباديءَ، ومكوناتٍ، وفلسفةً، وفكرًا.

[٢] هوية مصر في نصوص العهد القديم.

[٣] الآثار السياسية لهذا المفهوم.

المحور الأول:
محاولة بناء مفهوم للهوية؛ لغةً، واصطلاحا، ومباديءَ، ومكونات، وفلسفةً، وفكرا

[١/١] الهويّة لُغَةً: مشتقّة من الضّمير (هو)

أمّا مصطلح «الهوَ هو» المركّب من تكرار كلمة هو، فقد تمّ وضعه كاسم معرّف بـ(الـ) ومعناه «الاتّحاد بالذّات».

ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء «هو هو»؛ أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته، وتمييزه عن غيره؛ فهو وعاء الضّمير الجمعي لأيّ تكتّل بشريّ، ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه؛ بما يشمله من قيم وعاداتٍ ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة و إرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

[٢/١] الهوية اصطلاحًا

- الهويّة هي الإعلاء من شأن الفرد.
- الهوية هي الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، وهي لا تعتبر ثابتة، وإنّما تتحوّل تبعاً لتحوّل الواقع.
- الهويّة عبارة عن سماتٍ تميّز شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها.
- الهويّة هي الخصوصيّة والذّاتيّة، وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه.
- الهويّة جزء لا يتجزّأ من منشأ الفرد ومكان ولادته، حتّى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ.

[٣/١] مبادئ الهوية

- أن تكون الهويّة منسجمة مع معطيات الفكر القانوني والسّياسي، الّذي يستند إلى قانون المواطنة بوصفها معياراً جوهريّاً لتحقيق المساواة.
- أن تعبّر الهويّة عن الواقع، أي أن تكون انعكاسًا لتصوّر فئة ما دون غيرها.

[٤/١] مكونات الهوية

- موقع جغرافي.
- ذاكرة تاريخيّة وطنية مشتركة.
- ثقافة شعبيّة موحّدة
- حقوقٌ وواجباتٌ مشتركة.
- اقتصاد مشترك.

[٥/١] الهوية فلسفيا

الهوية موضوع فلسفي بالأصالة، عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواء؛

المثاليون ميتافيزيقيًّا وحوَّلوه إلى قانون الهوية، والوجوديون نفسيًّا؛ منعًا لانقسام الذات على نفسها، وبالتالي إنكار الوجود الإنساني.

وقد يصبح عند بعض الفلاسفة القانون الأول؛ في الفكر، وفي الوجود؛ مثل «فيشته». والغيرية ليست قانونًا مستقلاً بذاته مغايرًا بل هو نفي للهوية «اللا أنا».

ويكون القانون الجدلي الموضوع: الأنا، نقيض الموضوع: «اللا أنا»، ومركب الموضوع «الأنا المطلق».

إنه تكرار لفظي للضمير المنفصل «هو» مثل معظم مصطلحات الفلاسفة ومشاكلهم.

من الطبيعي أن يطابق الشيء ذاته، وألا ينفصم عنها في غيره، هذه طريقة الميتافيزيقا. إثارة الغبار ثم الشكوى من عدم الرؤية، فهي بالنسبة للوضعيين مشكلة زائفة مثل معظم قضايا الميتافيزيقا، أو هي عبارات أدبية مصوغة على نحو عقلي، لا مضمون لها، ولا تشير إلى شيء، ولا تقول شيئًا، مجرد تحصيل حاصل، والحديث عنها لغو كلام.

وهي «الهوية» ليستْ موضوعًا صوريًّا نظريًّا لا يُفهم؛ كما تقول العامة، والتي تريد التعامل مع الأشياء العيانية الملموسة.

فماذا يعني أن يكون الشيء هو هو؟ وهل الشيء غير الشيء نفسه؟!

وقد يجعل البعض «الماهية» أكثر عمقًا من «الهوية»

وفي اللغات الأجنبية لكل لفظ منفصل ماهية اللاتينية وهو فعل الكينونة، ولفظ «هوية» من الضمير «آيد»؛ أي: هو.

وكما يتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية فإنه يتداخل أيضًا مع مفهوم «الجوهر».

وتنتسب المفاهيم الثلاثة إلى جذر معنوي واحد، وليس جذرًا لغويًّا إلى مفهوم الأصل.

وإذا كان مفهوما «الماهية» و«الهوية» مشتقين لغويين من نفس الجذر «هو» فإن الجوهر استعارة من علم المعادن من الجوهر النفيس. فالشيء جوهر أي غال. وهو في نفس الوقت لب الأشياء كالمعدن النفيس بالنسبة لباقي الأحجار الكريمة.

والهوية خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة. هي موضوع إنساني خالص.

فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه. وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل، هو الذي يشعر بالفصام. وهو الذي تنقلب فيه الهوية إلى اغتراب. الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو عليه. فالهوية تعبير عن الحرية؛ أعني: الحرية الذاتية. الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد. إن وُجدت: فالوجود الذاتي، و إن غابت: فالاغتراب.

قد يَقصرُ بعضُ الوجوديين الهوية على البدن؛ لرفضهم ثنائيةَ النفسِ والبدنِ؛ «أنا جسمي» كما يقول جابريل مارسل، وعن طريق الجسم أتحرك وأنتشر في العالم.

ويرفض سارتر مقولة ديكارت «أنا أفكر» ويفضل أنا موجود، والوجود هو البدن قبل أن يتخلق فيه الوعي، والبدن هو الذي يجوع ويعرى، يحس ويشعر، ويبرد ويحتر، ويسكن ويبقى بالعراء، ويمرض ويصح، ويصرع ويُصرع، ويحيا ويموت، هوية الفقير في كفايته، وهوية الغني في طمعه، وهوية الجائع في إطعامه والعاري في إلباسه، والشريد في إيوائه، هي الهوية المباشرة التي يشترك فيها الجميع، الهوية الحسية التي لا تحتاج إلى وعي ذاتي لأنها سابقة عليه، الهوية التي يثور الجياع والمشردون والفقراء والمساكين والمرضى لنيلها.

وقد أصبحتِ الهوية عنوانًا لفلسفة؛ «فلسفة الهوية» عند شلنج أي أن يكون الوجود مطابقًا لنفسه دون فصام أو انقسام أو ازدواجية أفلاطونية؛ تطابق الروح والطبيعة، المثال والواقع، دون حركة أو جدل أو مسار كما هو الحال عند هيجل، فهي ليست فقط هوية رياضية، أو منطقية، أو فلسفية، أو نفسية، بل هي هوية أنطولوجية أقرب إلى وحدة الوجود عند الصوفية. فالهوية قد تنتقل من تجربة فردية إلى الوجود كله، الهوية ليست مجرد ظاهرة نفسية بل ظاهرة كونية.

ولذلك كان أفضل منهج لتناول الموضوع هو المنهج الظاهراتي (الفينومينولوجي)، منهج تحليل الخبرات الشعورية طالما أن الهوية ظاهرة إنسانية، وهو تحليل مباشر دون الاعتماد في مقدماته أو نتائجه على أدبيات الموضوع من أجل تجاوز منهج «قال ... يقول»، وتجميع أقوال السابقين؛ فالقول قد يخفي العلاقة المباشرة بين الذات والموضوع، في حين أن التحليل المباشر للظاهرة يعتمد على الحدس، وقلب النظرة من الخارج إلى الداخل، من النص إلى التجربة، ومن اللفظ إلى الشيء ذاته، فالمعنى الذي يدل عليه اللفظ ليس في اللفظ، ولا في المعجم، بل في النفس.

ما النص إلا علامة أو إشارة، ولا فرق بين الوافد والموروث؛ بين الأدبيات الغربية والأدبيات التراثية، فكلاهما رؤى، ومواد علمية مختلفة ومتباينة، إنما المهم هو التنظير المباشر للواقع، التحليل المباشر للتجربة الذاتية، وهو الفرق بين المعلومات والعلم؛ المعلومات: نقل ما عرفه السابقون، والعلم: قراءة ما بين السطور.

لا يقوم البحث على تجميع للمعلومات غربًا وشرقًا، بل على إضافة معلومة جديدة تزيد في العلم، فلا يوجد إحساس بالنقص لدى الباحث تجاه القدماء ونصوصهم، يعرفها ويعرف ظروفها التي حاولت هذه النصوص التعبير عنها، وما أيسر نقل المعلومات، وما أصعب إبداع العلم، والحدس المباشر وقلب النظرة قادران على رؤية الشيء والتعبير عنه، ولا يوجد نقص لدى الباحث تجاه معلومات الآخرين، وهو قادر على إبداع نص مثل نصوصهم.

وإذا صعب تحديد الهوية إيجابًا فإنه من السهل تحديدها سلبًا أي: فقدان الهوية، أو ما يسمى بالاغتراب، أن تخرج الهوية خارج الوجود، تتخارج وتصبح بديلاً عنه، يرى فيها الإنسان وجوده، وينسى وجوده الأصلي، وقد تحدث الفلاسفة -خاصة الهيجليين منهم- عن الاغتراب أكثر مما تحدث الفلاسفة عن الهوية.

وبالرغم مما يبدو على الموضوع من طابع فلسفي ميتافيزيقي خالص، غير أنه يرتبط بالفكر العربي المعاصر في القرنين الأخيرين؛ منذ فجر النهضة العربية حتى الآن، الذي يكشف صراع الهويات، فهو ليس موضوعًا نظريًا، بل هو موضوع تاريخي يتعلق بوجود العرب في التاريخ.

ومصطلح «الهوية» لفظ تراثي قديم، موجود في كتب المصطلحات مثل «التعريفات» للجرجاني. ومعناه أن يكون الشيء هو هو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهوية.

وهو موجود أيضًا في المعاجم والقواميس الغربية في مصطلح « Identity» وأحيانًا في مصطلح «الإنية» مشتق من «أنا» بنفس المعنى. يستعمله الفارابي في كتاب «الحروف». في مقابل اللفظ الغربي « Altraete» ويعني الغيرية. وهو على نقيض الهوية، وقد تكون الغيرية نسبية وليست كلية، أن يحدد انحراف الهوية، وليس للفظ الأجنبي لفظ عربي قديم مقابل، وقد ترجمه المحدثون بلفظ «اغتراب»، وقد يكون المقابل لفظ «اختلاف»، وهو موجود عند القدماء، وموجود في التراث الغربي الاختلاف « difference».

وأصبح التقابل «الهوية والاختلاف» شائعًا، وفي التراث العربي «الاختلاف» أكثر شيوعًا من الهوية؛ لأنه لفظ بسيط، في حين أن «الهوية» لفظ مركب من الضمير المنفصل «هو» لا يتكرر.

كما تعني «الهوية الشخصية» أو التحقق منها في تحقيق الشخصية «بطاقة هوية» أي مطابقة الشيء لنفسه، فالهوية تتعلق بالشخصية، وبالعدد، وبالتفرد، وبالكيف؛ كما تقول المعاجم التي تعبر عن تصورات مجردة واقتباسات من أقوال الفلاسفة، وهي في الحقيقة وقائع حسية عيانية لا تحتاج إلى كل هذا التجريد.

وهذا يفرض أسلوبًا وصفيًّا أدبيًّا؛ حيث لا فرق بين الفلسفة والأدب.

فليست الفلسفة أسلوبًا عويصًا، ومصطلحات غربية لا تفهم، بل هي أقرب إلى وصف الحياة اليومية، وتحليل التجارب المعيشة، هكذا كانت الفلسفة عند سقراط، وياسبرز، وراسل المتأخر، وأبي حيان التوحيدي، وعثمان أمين، وزكريا إبراهيم، وزكي نجيب محمود المتأخر.

ليس الأدب مجرد قصص وشعر ومسرح، بل هو أيضًا تحليل فلسفي لتجارب الحياة اليومية، والبحث عن دلالاتها؛ مثل شعر أبي العلاء، وشكسبير، وجوته، ونزار قباني، وأمل دنقل، وصلاح عبد الصبور، بل يمتد الأمر إلى زجل بيرم التونسي، والأبنودي، وأحمد فؤاد نجم.

وعلى هذا النحو: تخرج الفلسفة من النخبة إلى الجماهير، ومن الخاصة إلى العامة، دون أن تفقد دقتها وعمقها، وقد امتازت فلسفات معينة بالوضوح والبساطة؛ مثل فلاسفة التنوير، وفلسفة هنري برجسون.(١)

الذّات هي ما يسمّيه الفلاسفة بالهويّة؛ فذات الإنسان هي هويّته، وهي كلّ ما يشكّل شخصيّته؛ من مشاعر، وأحاسيس، وقيم، وآراء، ومواقف، وسلوك؛ بل كل ما يميّزه عن غيره من النّاس.

وقد عرّف أريكسون الهويّة الشخصية، أو الذّات، بأنّها الوعي الذّاتي ذو الأهميّة بالنّسبة للاستمراريّة الأيديولوجيّة الشخصية، وفلسفة الحياة الّتي يمكن أن توجّه الفرد، وتساعده في الاختيار بين إمكانيّاتٍ متعدّدة، وكذلك توجّه سلوكه الشّخصيّ.

---

(١) حسن حنفي..مسألة الهوية... رؤية فلسفية - http://www.arabrenewal.info/2010-06-11-14-11-19/40836-%D9%85%D8%B3%D8%A3%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D9%80%D8%A9-%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%8A%D8%A9.html

أمّا هنري تاشفيل، وجون تيرنر (باحثان إنجليزيّان في علم النّفس الاجتماعي) فاستعملا مصطلح الهويّة الشخصية، مقابل الهويّة الاجتماعيّة.

وكان القصد من مصطلحهما: الذّاتيّة، الّتي تعرف الفرد بالمقارنة مع الآخرين.

[٦/١] الهُوِيَّة فكرًا

تعد قضية «الهُوِيَّة» من أصعب القضايا وأعقدها التي تواجه كثيرًا من الشعوب في الوقت الحالي، يستوي في ذلك: المجتمعات الحديثة، والأمم ذات الأصول الحضارية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ !

ويمكن تعريف «الهُوِيَّة» بأنها: «الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أنْ يعرف نفسه في علاقاته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون؛ بوصفه منتميًا إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها المعرفية على مدى تاريخ الجماعة، من خلال تراثها الثقافي، وطابعها الاجتماعي.»[(١)]

وبالإضافة إلى هذه الشفرة فإن الهُوِيَّة تتجلى كذلكم من خلال مصطلحات شائعة مثل: الرموز، والألحان، والعادات، التي تنحصر قيمتُها في أنها عناصر معلنة تجاه الجماعات الأخرى، وهي أيضًا التي تميز أصحاب «هوية» مشتركة عن سائر «الهُوَيَّات» الأخرى، ولكن الملامح الحقيقية للهوية، هي «تلك التي تنتقل بالوارثة داخل الجماعة، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها بينها؛ مثل الأساطير، والقيم، والتراث الثقافي.

وهناك بعض علماء النفس يستخدمون مصطلح «الهُوِيَّة» من خلال إعطائه معنى واسعًا بعض الشيء دون تحديده تحديدًا دقيقًا، بينما نجد أن «دانيال ميللر»، و«إريك أريكسون» يتناولان «الهُوِيَّة» بشكل أكثر تحديدًا، إنَّ ميللر يتناول «الهُوِيَّة» بحسبانها «أنماط السمات التي يمكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتي تميز شخصًا في نظر نفسه وفي نظر الآخرين»[(٢)].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت أغسطس ١٩٩٧ م، ص ٧.

(2) Dr Miller: The study of social reltionhip situatio , jdentity , and social intraction , in s.kock phcycology: A study and society , new york , Mc Grawhill , 1963 , p. 673.

عن المرجع السابق: ص ٨.

أما إريكسون - الذي يعترف بصعوبة تعريف «الهُوِيَّة» - بالرغم من أبحاثه العميقة فيها، فإنه يحدد في كتابه «الطفولة والمجتمع» أَنَّ «هوية الأنا تتطور من الامتزاج التدريجي لكل الهُوَيَّات»[١].

وفي موقع آخر لدى بحثه للصياغة التي توصل إليها فرويد لـ: «هويته الداخلية» مع اليهودية، يتحدث إريكسون عن «البعد الموضوعي للتكتل الداخلي للجماعة» والذي ينعكس على الفرد.»[٢]

ويمنح هذا الانتماءُ «الهُوِيَّةُ» الفردَ غايتَهُ، وأملَ حياته، فيجعله مسؤولاً عن استمرارية أنماط الجماعة التراثية من زواياها المختلفة؛ مادية، وروحية، وتلك غاية نبيلة، وأما الأمل فيتمثل في إحساس الفرد أَنَّ جهوده لن تذهب سدى بمجرد موته، بل سيتعدى نفعها إلى جماعته الإنسانية التي ينتمي إليها حتى بعد موته.

وفي تصورنا أنه من يكون لديه الارتباط بهويته على هذا النحو: لا يتصرف وفقًا لقانون المصادفة؛ لأن الفرد الذي يتصرف وفقًا لهذا القانون يكون مفتقدًا للهوية، ومفتقدًا للانتماء، ومحكومًا عليه بأن يعيش حاضره فحسب، لفترة السنوات التي تحدد له أن يحياها على الأرض، وينغمس في هذه الحالة، ومن ثم يحدث لهذا الإنسان نوع من الخلل في استيعاب الرسالة المشفرة الخاصة بمجتمعه، وعادة ما يعاني مثل هذا الشخص من الحيرة فيما يتصل بهويته الذاتية.[٣]

عندما توجد جماعة بأكملها في حالة من الحيرة تجاه موضوع الهُوِيَّة، فإنها تشير بذلك إلى أَنَّ هناك أسبابًا مختلفة قد شوشت عمليات تلقي إرث الشفرة بالنسبة لعلاقات الأجيال فيها، وإذا ما تواصلت هذه الحيرة وأصبحت بمنزلة سمة مميزة لعدد من الأجيال على التوالي، فإن هذا دليل قاطع على أَنَّ هناك خطرًا داهمًا يهدد هذه الجماعة، وهو خطر التفكك، إذ إن هذه الحيرة تجاه الهُوِيَّة هي من العلامات الواضحة على أَنَّ الجماعة لم تنجح في أن تحافظ على تواصل أبنائها بها، ومن هنا فإن من الأمور المصيرية للغاية بالنسبة لها في هذه الحالة: أنْ تقوم في الوقت

(1) Erikson E.H Childhood. and Society , new york , Norton , 1950 , p. 213.

عن المرجع السابق: ص ٨.

(٢) هيرمان شمعون: الهوية اليهودية .. نظرة سيكولوجية اجتماعية، زهوت يهوديت .. مباط بسيكولوجي حفراتي، المكتبة الصهيونية، القدس، ١٩٧٩، ص ٢٧.

(٣) السابق: ص ٧ وما بعدها، بتصرف كبير.

المناسب بعمل استيضاح حول ماهية هذه الحيرة التي تسود الجماعة حول مسألة «الهُوِيَّة»، وهذا الاستيضاح الثاقب والجدي هو الذي من شأنه أنْ ينقذ الجماعة من التفكك، قبل فوات الأوان، إذ إنْ نتائجه يمكن أن تعيد لأعضاء الجماعة الإيمان بمركبات الشفرة بكاملها، أو تشير إلى تلك المركبات المنفصلة في الشفرة التي قد تكون في حاجة إلى تحديث وملاءمة مع ظروف العصر.(١)

إنَّ «الهُوِيَّة» تعكس تشابهًا وفرادةً في آنٍ واحدٍ، والرواية الشعبية تقول: كل شخص من نواحٍ معينة هو:

١- يشبه سائر الناس: «ذو سمات إنسانية عالمية».

٢- يشبه أشخاصًا معينين آخرين: «يشترك في صفات معينة من شرائح اجتماعية معينة».

٣- لا يشبه أي شخص آخر: «له شخصية خاصة به»(٢).

أما «الهُوِيَّة العرقية» فإنها تُخْتَصُّ بما يشترك فيه الفرد مع الأشخاص الآخرين، والتي يختلف بها بالمشاركة معهم عن سائر البشر؛ لأنهم ذوو سمات معينة.

وهنا يطرح سؤال هو: ما هي السمات التي تميز الجماعات العرقية؟

إنَّ «أوتر كلاينجر» يُعَرِّفُ الجماعة العرقية بأنها «جماعة تختلف عن الجماعات الأخرى؛ في النمط الجسماني «أو العرق»، والدين، واللغة، أو في الأصل القومي، أو في كل هذه الأشياء مجتمعة»(٣).

ويتبنى قاموس العلوم الاجتماعية تعريفًا أوسع مشابهًا، ويذكر عند بحثه لاستخدامات المصطلح أنه «يطلق في غالب الأحيان على أية جماعة، تختلف عن الجماعات الأخرى؛ في واحدة، أو في عدد، من عادات حياتها»(٤).

وقد أشار كل من جلايزر وموينيهان إلى أن استخدام المصطلح -في السنوات الأخيرة-

---

(١) أورن يوسف: [פוליטיקאי עט כמו חצוצרה: هاعيط كشوفار بوليطي]: [القلم كبوق سياسي] دار يحد، فلسطين المحتلة، ١٩٩٢، ص ٨٤، ٨٥، نقلاً عن د. رشاد الشامي: [إشكالية الهوية].

(٢) هيرمان شمعون: الهوية اليهودية ص ٢٧.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

يعكس المعنى الواسع الذي اكتسبته العرقية، ولا يقصر علماء الاجتماع استخدام المصطلح على الجماعات الهامشية، أو الأقليات، بل يطلقونه على كل جماعة تتميز بـ «الإحساس بالاختلاف الواضح؛ بسبب الثقافة، والأصل»[١].

والجدير بالذكر أنَّ جلايزر وموينيهان يدمجان مصطلح الأصل في التعريف الذي يرون أنه الشائع الآن، وإذا كان لابد من التأكيد على الأصل المشترك: فإن الثقافة المشتركة -حسبما أثبت فردريك بارت- ينبغي النظر إليها: «كاستنتاج، أو كنتيجة، وليس كمجرد صفة مميزة من الدرجة الأولى؛ لتعريف تشكيل جماعي عرقي»[٢]، ويتفق هذا الأمر مع تعريف ماكس فيبر الذي يتحدث عن "جماعات لديها إحساس بالأصل المشترك»[٣].

وهنا ينبغي أنْ نشير إلى أنه ينبغي التمييز بين هوية الجماعة، وبين الهُوِيَّة على النحو الذي تنعكس به لدى الفرد العضو في الجماعة، وعلى حد قول «هربرت كالمان»: (إنَّ الهُوِيَّة الجماعية يحملها أعضاؤها الأفراد في الجماعة، ولكنها لا تظلل كل أعضاء الجماعة بمجمل المفاهيم الخاصة بها، فهي من ناحية لها منفصلة في صورة نتاجات تاريخية متجمعة، تشمل وثائق مكتوبة وتقاليد شفهية وأنظمة مؤسسية وأشياء رمزية، وتضم من ناحية أخرى قطاعات مختلفة من الجماعة يختلف كل منها عن الآخر اختلافًا كبيرًا في درجة تداخلهم الفعَّال والتزامهم الوجداني تجاه الجماعة، حيث تقوم عناصر زعامية مختلفة وجماعات ثانوية فعالة بدور أكبر في تحديد هوية الجماعة أكثر من سائر المنتمين إليها»[٤].

وعندما نحاول أنْ نبحث هوية الفرد، على النحو الذي تصاغ به في مجال عملية التبادل الاجتماعي: ينبغي أنْ نميز-وفقًا لما حدده ميللر- بين الهُوِيَّة الجماعية الموضوعية «السمات حسبما يدركها الآخرون»، وبين الهُوِيَّة الجماعية الذاتية: «إدراكه لنفسه في نظر الآخرين»، وبين الهُوِيَّة الذاتية: «الإدراك الذاتي للفرد عن مقدار سماته»[٥].

---

(١) السابق نفسه.

(٢) ديفيس، م: وطن إسرائيل في أمريكا [بيت يسرائيل بأمريكا] دار نشر ماجنس، الجامعة العبرية، القدس ١٩٧٠، المقدمة.

(٣) هيرمان، شمعون: الهوية اليهودية ... [مرجع سابق]، ص ٢٧.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه.

المحور الثاني
هوية مصر في نصوص العهد القديم

وعندما نحاول أن نطبق هذا في مجال تحديد (هوية المصريين) الجماعية الموضوعية حسبما يدركها بعض اليهود بناء على نصوص كتابهم المقدس «العهد القديم» سنجد أنْ أي فرد يمكن أنْ يبدو مصريًّا في نظر جماعته، أو في نظر الجماعة التي يعيش في وسطها، أو في نظرهما معًا.

واستنادًا لما سبق: يمكن القول بأن الهُوِيَّة الذاتية للفرد تتأثر بالهُوِيَّة الذاتية الجماعية؛ أي من إدراكه الخاص للطريقة التي يراه بها الآخرون.

والمهم هنا: ليس ما إذا كان الفرد نفسه مُصَنِّفًا بحسبانه مصريًّا، حيث ليس هذا هو السؤال في معظم الحالات، بل كيف -في رأيه- يرى الآخرون المصري؟ وما هي القيمة التي يضفونها على هذه الهُوِيَّة؟

والسؤال المطروح الآن: من هم -في نظر الفرد- أولئك الآخرون ذوو الاعتبار، سواء كانوا مصريين أو غير مصريين، والإجابة بالطبع بالنسبة للمصريين في مجتمع الأغلبية المصرية -على غرار مصر- مثلًا تختلف عن الإجابة بالنسبة للمصريين الذين يعيشون كأقلية عرقية في سائر المجتمعات الأخرى، فإذا كان المصري في مصر ينظر في مرآة فرعونية، فإن المصري في أي مجتمع آخر يتأثر إلى حد كبير بصورة الفرعوني، حسبما تنعكس في نظر الأغلبية التي يعيش في وسطها.

- جاء الاهتمام بهوية مصر -في نصوص الكتاب المقدس عامة، وفي نصوص العهد القديم منه خاصة- مسترعيًا للنظر عند المهتمين بقضايا التاريخ لعلم مقارنة الديانات، ودراسة التأثير العقدي الديني على الفكر السياسي.
- وتمثَّل هذا الاهتمام بهوية مصر؛ بشريًّا، ودينيًّا، وثقافيًّا، واجتماعيًّا، وعسكريًّا، واقتصاديًّا، وجغرافيًّا، وتاريخيًّا، في عدد ورود ذكر اسم «مصر» العَلَم، والنسبةِ إليها، والإضافةِ إليها، حيث بلغ في نصوص العهد القديم وحده: (ستمائة وسبعًا وعشرين مرة = ٦٢٧ مرة)[1].

(١) ويزيد هذا العدد يقينًا؛ إذا أضفنا إليه العَلَمَ العبري: [مصرايم: مصر].

- وقد شمل هذا البحثُ ما يتحدث عن مصر؛ الأرض، وعن «المصريين» شعبًا وأمة، تعامل معهم بنو إسرائيل فترةً ليست قصيرةً من الزمن.

ثم عكف الباحث على هذه النصوص؛ بالتحليل، والمقارنة، والنقد، في محاولة لبيان صورة «الهُوِيَّة المصرية» في فكر اليهود؛ قديمًا، وحديثًا، من خلال النصوص الكتابية المقدسة لديهم.

[١/٢] أزمنة هذه النصوص

تتوزع هذه النصوص الخاصة بذكر «مصر» في العهد القديم إلى ثلاثة أزمنة متباعدة؛ زمن دخول إبراهيم وزوجه سارة إلى مصر، ثم زمن إقامة يوسف الطويلة بها، ومجيء إخوته، ثم يكن أبيه وأسرته بمصر، وأخيرًا زمن وجود موسى بمصر؛ منذُ الولادة حتى خروجه إلى أرض مدين، ثم رجوعه زمن نبوته، حتى فراره ببني إسرائيل من أرض مصر.

وتتجلى هويةُ مصر خلال هذه الأزمنة في عدة مثلات ذهنية؛ تتمثل في نصوص العهد القديم على النحو التالي:

[٢/٢] أرض مصر ضمن الميثاق الإلهي لأبناء إبراهيم من نسل إسحاق[١]

وهنا -بالتحديد- تظهر المعضلة؛ التي استمرتْ أحقابًا، ولا تزال تداعياتُها تتراءى لنا إلى زمننا هذا.

ولنبدأ باستعراض جميع النصوص التي احتوتْ على هذا الميثاق الإلهي الذي عقده اللهُ مع إبراهيم، ثم أعاد تأكيدَه مع حفيده يعقوب، وتمسك به بنو إسرائيل من بعدهما، ولا يزال أغلبية يهودُ اليوم يستدلون به على حقهم الإلهي في وراثة هذه الأرض:

[١/٢/٢] (وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له)[٢].

---

(١) يُنظر: عابد توفيق الهاشمي، الوسيط في علم الأديان، ط١، دار الفكر المعاصر، صنعاء ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، جـ١ ص ٣٠٣..

(٢) تك ١٢: ٧.

[٢/٢/٢] (لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد)[١].

[٣/٢/٢] (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)[٢].

[٤/٢/٢] (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًّا؛ لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك)[٣].

[٥/٢/٢] (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا، وأكون إلههم)[٤].

[٦/٢/٢] (الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي أقسم لي قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك)[٥].

[٧/٢/٢] (تغرَّبْ في هذه الأرض، فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أبيك)[٦].

[٨/٢/٢] (ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك؛ لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم)[٧]

[٩/٢/٢] (وهو ذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك)[٨].

[١٠/٢/٢] (والأرض التي أعطيتُ إبراهيمَ وإسحق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض)[٩].

---

(١) تك ١٣: ١٥.

(٢) تك ١٢: ١١-١٤.

(٣) تك ١٧: ٧.

(٤) تك ١٧: ٨.

(٥) تك ٢٤: ٧.

(٦) تك ٢٦: ٣.

(٧) تك ٢٨: ٤.

(٨) تك ٢٨: ١٣.

(٩) تك ٣٥: ١٢.

[١١/٢/٢] (وقال الرب لموسى: اذهبْ، اصعدْ من هنا، أنتَ والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفتُ لإبراهيم وإسحق ويعقوب؛ قائلاً: لنسلك أعطيها)[١].

[١٢/٢/٢] (وقال له الربُّ: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب؛ قائلاً: لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر)[٢].

وحتى لا نسرف في الاسترسال بنقل النصوص؛ نقول: إن عهود الأرض الموعودة توارثها خمسة عشر نبيًّا، من سلسلة أنبياء بني إسرائيل؛ بامتلاك فلسطين، بل وأوسع منها، وهو ما يسمونه بأرض الميعاد، وقد ابتدأت هذه العهود بإبراهيم عليه السلام قبل ٤٠٠٠ سنة تقريبًا وانتهاء بملاخي قبل ٢٤٠٠ سنة تقريبًا خلال أكثر من ١٥٠٠ سنة.

والإشكالية الآن لم تصبح في تفنيد هذه العهود المزعومة، بل في مناقشة تفاصيلها؛ أتقتصر فقط على أرض فلسطين، أو تتسع لتشمل معها سائر بلاد الشام، أو تتعملق فتصير من الفرات إلى النيل؛ كما هو مكتوب على كنيستهم، ومرسوم على علمهم، مدعمًا بعدم وجود حدود مرسومة لهذا الكيان المغتصب؟[٣]

يتهرب منظرو اليهود اليوم من الإجابة على هذا السؤال، بمراوغة مكشوفة؛ قائلين: إن ثم فرقًا بين دولة إسرائيل، وأرض إسرائيل المعهودة الموعودة!![٤]

---

(١) خر ٣٣: ١.

(٢) تث ٣٤: ٤.

(٣) يُنظر: هورست كلينغل - تاريخ سوريا السياسي ٣٠٠٠-٣٠٠ ق.م، ترجمة سيف الدين دياب ط١- دار المتنبي دمشق - ١٩٩٨م ص ٢٣١.

(٤) يُنظر: د/ محمد أبو زيد أبو زيد، أرض الميعاد.. نظرة قرآنية في العهود التوراتية، مقال على موقع:
http://www.syriasc.net/%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2/226-%D8%A3%D8%B1%D8%B6%D9%8F-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%92%D8%B9%D9%8E%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D8%A7%D8%AF-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D8%A9-%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9

[٣/٢] نقد نصوص هذا الميثاق

قد حرصتُ على نقل النصوص السابقة جميعًا؛ برغم اتحاد ألفاظها ظاهريًّا؛ ليتوافر لنقدنا هذا عوامل النزاهة العلمية، والإحاطة المنهجية:

[١/٣/٢] لم يتضحْ لنا أية علة؛ تبرر إعطاء الله إبراهيم أرض مصر؛ وهي أرض غربته، ضمن مساحة شاسعة من الأراضي، ولم نعِ السبب الذي يكمن وراء نزع أرض من أهليها الأصليين، ومنحها لإبراهيم في عصره المبكر جدًّا.

[٢/٣/٢] فإذا سلمنا بصحة العهد والميثاق والوعد الرباني لإبراهيم، وقلنا: ربما تكون العلة هي أن أهل مصر، وسائر أراضي العهد الرباني، قد خرجوا عن الفطرة الإلهية، وأشركوا مع الله الواحد إلهة أخرى، فنزع الله منهم أرضهم، وأعطاها إبراهيم ونسله، فستبقى أسئلة منطقية تحول بيننا وبين التسليم بهذا العهد المزعوم؛ منها:

لماذا يقتصر هذا العهد الرباني على نسل إبراهيم من ذرية إسحق دون إسماعيل، على الرغم من كون إسماعيل هو الأكبر، وعلى الرغم من أن هذا العهد الرباني بزغ زمانُه حتى قبل أن يُرزق إبراهيم بولده إسماعيل، فضلاً عن ولده إسحق، وحفيده يعقوب بن إسحق؟ الحقيقة أنه: لا إجابة على الإطلاق، سوى العنصرية الإسرائيلية غير المبررة.

ثم لماذا لا تُنزع جميع الأرض من كل المشركين في الكون، في كل بقاع الدنيا، في كل زمان؛ بعلة خروجهم عن توحيد الله وشرائعه وأحكامه؟ لا إجابة!

ثم لماذا لا تصدق هذه العلة على بني إسرائيل أنفسهم؛ خاصة في زمن موسى ومن بعده من أنبيائهم، وقد عبدوا العجل، وقتلوا الأنبياء، ونقضوا المواثيق، وهدموا العهود، وتنكروا للشرائع؟ كذلك: لا إجابة.

[٣/٣/٢] فإذا غضضنا النظر عن كل هذه الإشكاليات المنطقية بقيتْ معضلةٌ كبرى: ما الحدود التاريخية/الجغرافية لهذه الأرض الموعودة في هذا الميثاق المزعوم؟

هل تقتصر على فلسطين المحتلة بالفعل، أو التي تقع في زمام الاحتلال؟

هل تتوسع قليلاً فتشمل سيناء؛ التي سنرى في المحور الثالث من هذا البحث أنهم يطلقون عليها (سيناء المصرية!)؟

هل تتوسع أكثر وأكثر فتلتهم جزءًا أكبر من أرض مصر؛ قيل إنه يمثل على الأقل دلتا النيل بأكملها؟!

[٤/٣/٢] ثم تبقى علامات استفهام تاريخية وآنية؛ لا إجابة لها؛ لا في النصوص، ولا في الواقع؛ منها:

لماذا لم يمكنِ الله لموسى والمسلمين معه في أرض مصر، بل خرجوا منها إلى الأبد؛ مع أنها داخلة في العهد المزعوم؟ وما معنى هذا النص المذكور في سفر الخروج: (فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ)[١].

ثم: لماذا لم يأذنِ الله لموسى بالرجوع إلى الأرض الموعودة بعد أن أهلك الله فرعون وجنوده؟

ولماذا لم يُصرحْ قادة إسرائيل في العصر الحديث بتمسكهم بكامل العهد الإلهي لهم في وراثة هذه الأرض كلها؛ من النيل إلى الفرات؟ لماذا اكتفوا بفلسطين وحدها حتى الآن؟

ومع ذلك كله: لماذا لم يضعوا حدودًا لدولتهم حتى الآن؟ ولماذا جعلوا شعار دولتهم في عَلَمِهم الرسمي معبرًا عن كامل الأرض الموعودة، مع كتابة ذلك على بيتهم السياسي؛ (الكنيست)؟

إن كل هذه التداعيات المنطقية تنال من أساس هذا العهد المزعوم، وتزعزع الثقة المنطقية فيه.

[٤/٢] مصر سلة غذاء العالم

فحينما يشتد الجوع في الأرض: يدخل إبراهيم مع زوجه سارة إلى مصر: (وحدث جوع في الأرض.فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك.لأن الجوع في الأرض كان شديدًا)[٢].

وهو ما يحدث مع إخوة يوسف فيما بعدُ: (وقال إني قد سمعت أنه يوجد قمح في مصر. انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت...)[٣].

---

(١) خر ٥: ٨٣.

(٢) تك ١٢: ١٠.

(٣) تك ٤٢: ١، وما بعده من أعداد.

وهذا يثير تساؤلاتٍ ربما لا تقع تحتَ حصرٍ؛ منها:

هل هذا هو السبب في الطمع الدائم في أرض مصر؛ خلال حقب التاريخ المتطاولة؟

وهل يكون هو العلة في تلفيق العهد الرباني المزعوم لبني إسرائيل في وراثة مصر؟

وهل يدفعُ هذا الاعتقاد أعداء مصر إلى تقويضها سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا؛ لتيسير افتراسها؛ أرضًا وشعبًا؟!

[٥/٢] من هوية مصر إلى هوية المصريين:

وهذه تدرج منطقي؛ لأن الإنسان ابنُ بيئته، فماذا عن المصريين في العهد القديم؟

[١/٥/٢] مصر تقتل الرجال وتستحي النساء:

وهذا نصُّ كلام إبراهيم لزوجه سارة: (وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته.فيقتلونني ويستبقونك. فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًّا)[(١)].

فهل هذه فكرةُ اليهود عن المصريين حتى اليوم، أم يعدون ذلك -إن صحَّ- أنها من التاريخ؟

وماذا يكون تخطيطهم بناءً على هذه الخلفية الذهنية عن المصريين؟

إن وراء النص ما وراءه من توقعات مفتوحة على كل الآفاق، ولا نقول هذا من عنديات أنفسنا، ولا رجمًا بالغيب، بل هذه نصوصهم في عهدهم القديم المقدس: (ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى مِيَاهِ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى أَنْهَارِهِمْ وَعَلَى سَوَاقِيهِمْ، وَعَلَى آجَامِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مُجْتَمَعَاتِ مِيَاهِهِمْ لِتَصِيرَ دَمًا. فَيَكُونَ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ فِي الأَخْشَابِ وَفِي الأَحْجَارِ) ثم: (وَحَفَرَ جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ حَوَالَيِ النَّهْرِ لأَجْلِ مَاءٍ لِيَشْرَبُوا، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ مَاءِ النَّهْرِ)[(٢)] ثم: (وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. فَلا يَمُوتُ

(١) تك ١٢: ١١-١٤.

(٢) خر ٧: ٢٤.

مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ)[١] ثم: (فَفَعَلَ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الْغَدِ. فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ)[٢] ثم: (وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يُسَنِّنُ كَلْبٌ لِسَانَهُ إِلَيْهِمْ، لاَ إِلَى النَّاسِ وَلاَ إِلَى الْبَهَائِمِ. لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ)[٣]، ووضوح النصوص وصراحتها تكفينا أي تعليق!

[٢/٥/٢] المصريون لا يستطيعون سياسة أنفسهم:

(وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ وَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَجْلِ الْخُبْزِ، قَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا)[٤].

والاعتراض هنا ليس على عبقرية يوسف، فالقرآن يحكي ذلك، ونحنُ نسلمُ به، بل على ما ترتب على هذه العبقرية، وهذه هي النصوص القاطعة على عجز أهل مصر عن إدارة شؤونهم؛ خاصة الاقتصادية منها، وعلى استعداد أهل مصر للتخلي عن استقلالهم السياسي؛ فقط: لملأ بطونهم:

- فهو يدبر لهم أمورهم الاقتصادية: (فَلَمَّا فَرَغَتِ الْفِضَّةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَمِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ أَتَى جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى يُوسُفَ قَائِلِينَ: «أَعْطِنَا خُبْزًا، فَلِمَاذَا نَمُوتُ قُدَّامَكَ؟ لأَنْ لَيْسَ فِضَّةٌ أَيْضًا)[٥].
- ويرسل إلى أبيه بهذه الرسالة عبر إخوته: (وتخبرون أبي بكل مجدي في مصر، وبكل ما رأيتم وتستعجلون وتنزلون بأبي إلى هنا)[٦]، ولا بأس حتى الآن، غير أن النصوص تتجه وجهة غريبة: (وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلي، فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض)[٧]، ثم تأخذ منحنى سياسيًّا حادًّا: (لا تحزن عيونُكم على

(١) خر ٩: ٤.
(٢) خر ٩: ٦.
(٣) خر ٩: ٧.
(٤) تك ٤١: ٥٥.
(٥) تك ٤٧: ١٥.
(٦) تك ٤٥: ١٣.
(٧) تك ٤٧: ١٨.

أثاثكم؛ لأن خيرات جميع أرض مصر لكم)[١]، هكذا دون أدنى تحفظ؛ جميع خيرات أرض مصر فقط لإسرائيل وبنيه!

- **فإذا استظهرنا ذلك كله كانتِ الطامّات في انتظارنا:** (فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون؛ إذ باع المصريون كل واحد حقله؛ لأن الجوع اشتد عليهم، فصارت الأرض لفرعون! وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه)[٢].

وثم سؤالان تعليقًا على هذين النصين الأخيرين المقدسين عند من يعتقد بهذا:

الأول: هل المصريون على استعداد لبيع أرضهم؛ لسد جوع بطونهم؟

الثاني: هل خرجت أرض مصر من ملكية مواطنيها، وصارت ملكًا لمن يحكمها منذُ أيام يوسف النبي؟

- ولا يقف الأمر عند هذا الحد الخطير، بل تنتقل النصوص المقدسة لدى أصحابها إلى أفق أخطر؛ وهو الزعم أن بني إسرائيل أصحاب مساهمات حضارية في مصر القديمة؟

يقول كتابهم المقدس: إن العبرانيين المستعبدين بنوا مدينتي المخازن فيثوم ورعمسيس.

وتدل السجلات القديمة على أن هاتين المدينتين بنيتا في ١٢٩٠ق/م، لكن كثيرًا من المؤرخين يجزمون بأن العبرانيين قد غادروا مصر في ١٤٤٦ق/م فكيف أمكنهم أن يبنوا المدينتين بعد مغادرتهم مصر بنحو ١٥٠ سنة؟

هناك نظريتان على ذلك:

١- أن الخروج حدث فعلاً ١٢٩٠ ق/م، ويطلق على هذه النظرية: نظرية التاريخ المتأخر للخروج.

٢- أن رمسيس فرعون مصر في ١٢٩٠ ق/م لم يشيد مدينتي المخازن فيثوم ورعمسيس، بل أعاد تسميتهما، وكان من المألوف عند أي حاكم مصري أن يجري تحسينًا على مدينة، ثم يدعي أنه بناها، وهكذا يمحو كل السجلات عن مؤسسيها الأقدمين[٣].

---

(١) تك ٤٧: ٢٠.

(٢) تك ٤٧: ٢١.

(٣) يُنظر: أحمد فخري - مصر الفرعونية: موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م - ط٨ دار الأنجلوا المصرية - القاهرة ١٩٩٥، ص٤١٨: ٤٢٠.

[٢/٥/٢] احتقار المصريين للعبرانيين:

يحدثنا العهد القديم أن المصريين كانوا لا يخالطون العبرانيين؛ ولا يأكلونهم: (لأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ)[١].

فهل تنتقل العادات والتقاليد في عصر ما إلى مرتبة المبادئ الفكرية، ويُدانُ بها أهل البلاد إلى أبد الآبدين؟

إننا لو طبقنا هذا على عادات اليهود، وتقاليدهم الممتدة عبر التاريخ؛ فلن يكون ذلك في صالحهم أبدًا؟

والمفاجأة مع كل هذا: أن التفسير التطبيقي للكتاب المقدس يبرئ المصريين من هذه التهمة الغريبة: «وصلت عائلة يعقوب إلى مصر في أيام مجد الفراعنة، وبمرور السنين أصبحت هذا العائلة العبرانية أمة ضخمة، ولكنهم كأجانب قدموا حديثًا للبلاد كان أسلوب حياتهم يختلف كل الاختلاف عن أسلوب حياة المصريين، فكان بنو إسرائيل يعبدون الله الواحد، بينما كان المصريون يعبدون إلهة عديدة، وكان العبرانيون قومًا رحلًا، بينما كان المصريون أصحاب حضارة راسخة، وكان العبرانيون رعاة بينما كان المصريون بناة، وكانت المرأة العبرانية متخلفة بينما شغلت النساء المصريات مكانة بارزة في المجتمع، ولكل هذه الاختلافات: انفصل العبرانيون مكانيًّا عن سائر المصريين» فالعبرانيون هم الذين حددوا إقامتهم مكانيًّا في مصر، وليس المصريون هم الذين عزلوهم!

[٤/٥/٢] هل أموال المصريين مباحة لليهود؟!

في صراحةٍ تفوق الحد يحدثنا العهد القديم أن من حق بني إسرائيل أن يحتالوا بكل الوسائل؛ لينتزعوا أموال الشعب المصري! (وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى؛ طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا)[٢]، وكان هذا الطلب على سبيل العارية، ثم: (وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ)[٣]، فتحولتِ العاريةُ المباحة إلى عملية نصبٍ خسيسة!

---

(١) تك ٤٣: ٣٢.

(٢) خر ١٢: ٣٥.

(٣) خر ١٢: ٣٦.

فإذا كان تاريخًا، وقد مضى، فهل من المستهدف الآن إحياء هذا التاريخ في واقعنا المعيش؟ هل من المخطط سلب المصريين كل ما يملكون من مقدرات؛ بدعوى أن هذا مشروع في كتاب اليهود المقدس؟

المحور الثالث

بعض الآثار السياسية لهوية مصر في نصوص العهد القديم[١]

[١/٣] علينا أن نكون على ذكر دائم بما قاله بن جوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام ١٩٤٨م حين وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة: «وقد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل.»

ثم يضيف: «ولذلك وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي».

والسؤال: هذا اكتفى اليهود بهذا الحق المزعوم؟

والإجابة: لا، بل إن الإشكالية الآن لم تصبح في تفنيد هذه العهود المزعومة، بل في مناقشة تفاصيلها؛ أتقتصر فقط على أرض فلسطين، أو تتسع لتشمل معها سائر بلاد الشام، أو تتعملق فتصير من الفرات إلى النيل؛ كما هو مكتوب على كنيستهم، ومرسوم على علمهم، مدعمًا بعدم وجود حدود مرسومة لهذا الكيان المغتصب؟

ويتهرب منظرو اليهود اليوم من الإجابة على هذا السؤال، بمراوغة مكشوفة؛ قائلين: إن ثم فرقًا بين دولة إسرائيل، وأرض إسرائيل المعهودة الموعودة!!

[٢/٣] حدود العهود الكتابية الجغرافية[٢]

يفرق اليهود بين ما يسمى بـ (أرض إسرائيل) ودولة (إسرائيل المعاصرة) فأرض إسرائيل

---

(١) يُنظر: عابد توفيق الهاشمي - العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها - ط١ - دار اقرأ - اليمن ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. ص ٢٢، وما بعدها.

(٢) يُنظر: إسرائيل شاحاك - الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - ترجمة رضا سلمان - ط٤ - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - ١٩٩٧م - ص٢٢١، وما بعدها.

تذكر التوراة حدوداً تفصيلية كبيرة لها تتجاوز حدود فلسطين. ففي سفر التثنية: «الرب إلهنا كلمنا... تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانيين ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات... ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم». وفي سفر التكوين: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات...». وكذلك في التثنية: «الرب كلم يشوع قائلاً: «فالآن قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها هم أي لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامهم لكم أعطيها كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم». وهناك تفصيل أكبر في سفر العدد: ٣٤/١-١٢.

وهذه العهود التي تعطيهم كل هذه الأراضي الشاسعة تصطدم مع ما يسمى الآن بدولة إسرائيل لأنه ليس منها شيء خارج حدود فلسطين بل وفي جزء من فلسطين وهذا يقودنا إلى التفرقة بين ما يسمى بـ (أرض دولة إسرائيل) و(أرض إسرائيل) أو (أرض الميعاد). فما يسمى بدولة إسرائيل هو هدف مرحلي عند

اليهود يتناسب مع الظروف الراهنة للعالم وبالذات ما هو داخل فلسطين وما حولها من الدول. وبعبارة أخرى هذه الدولة الآن تعتبر خطوة تكتيكية ونواة (أرض إسرائيل) أو (أرض الميعاد) وهي المذكورة في عهودهم التوراتية، وقد سبق أن ذكرت في (البعد العقائدي اليهودي في فسطين) تصريحات زعمائهم في هذا المعنى وأضيف هنا ما قاله إسرائيل شاحاك: «ويجري التداول اليوم بعدد من الصيغ المتباينة لحدود أرض إسرائيل التوراتية التي تفسرها مراجع حاخامية كحدود تعود إلى الوضع المثالي، للدولة اليهودية. والصيغة الأبعد أثراً تشتمل ضمن هذه الحدود: كامل سيناء، وجزءاً من شمال مصر وحتى ضواحي القاهرة في الجنوب، وكامل الأردن وجزءاً كبيراً من العربية السعودية، وكامل الكويت وجزءاً من تركيا (حتى بحيرة فإن) في الشمال، وقبرص في الغرب».

وهذا ما يفسره العلم الذي وضعوه لدولتهم حيث لوّن الأعلى والأسفل بالأزرق رمزاً لنهري الفرات والنيل ووضعت في وسطه نجمة داود السداسية رمزاً إلى دولة داود وسليمان. بل إننا نرى أنهم يطمعون بأكثر من هذا وهو كل أرض داستها أقدامهم وهذا هو ما ذكرته قبل قليل في سفر يشوع: « كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته...». وفي ضوء هذا قال ابن غوريون أول رئيس وزراء لدولة اليهود: «حدود دولتنا حيث تصل أقدام جيشنا».

وقال هرتزل للمستشار الألماني (هوهنكر) حيث سأله عن الأرض التي يريد: «سنطلب ما نحتاجه، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان».

أما بالنسبة للقرآن فكما ذكرت سابقاً لم يذكر سابقاً لم يذكر حدوداً تفصيلية للأرض التي كتبها الله للمسلمين من بني إسرائيل إلا أن إجماع العلماء على أنها ضمن حدود بلاد الشام، ورجحت أنها لا تعدو عن كونها قرية بيت المقدس، ثم بعد ذلك توسع القوم من خلال حروب قاموا بها حول تلك القرية. هذا غير ما ورثوه من أرض مصر وهذا كان بسبب ظلم فرعون لهم وصلاحهم في ذلك الوقت وليس من الأرض التي قال الله إنه قد كتبها لهم كما بينت سابقاً.

وعندما نظرنا في كتب التاريخ لم نجد ما قالته التوراة عن دولتهم الواسعة ولم نجد دولتهم تجاوزت حدود فلسطين بل لم يكتمل لهم حكم فلسطين كاملة وبقي أهلها الأصليون يشاركونهم السكنى فيها. كما أنه لا يوجد في الوثائق الآشورية أي أثر لفترة داود وسليمان التي يعتد بها اليهود وأكثر ما ذكرت هذه الوثائق أن هناك دولتان لبني إسرائيل في أجزاء من فلسطين. إلى جوار دول أخرى لغيرهم فيها وكذلك النصوص المصرية لا ذكر فيها لداود وسليمان ودولتهما و إنما ذكرت بعد داود وسليمان وجود دولتين إسرائيليتين فيها وأن غير الكنعانيين (السكان الأصليين) في فلسطين شاركهم كذلك بعض شعوب البحر مثل البلس وغيرهم فاستقروا على الشاطئ ضمن كيانات سياسية خاصة بهم والتنقيبات السورية لم تذكر أي أثر لليهود أو لبني إسرائيل في سورية. وليس فيها أثر لوجود سياسي في دمشق وجنوبها سوى ما تدعيه المصادر التوراتية. وهذا ما يعيدنا إلى التصور القرآني من أن دولتهم لم تكن بذلك الاتساع ولا بذلك الاستقرار والثبات.

[٣/٣] سيناء الفلسطينية

يقول د. محمد عفيفي تحت عنوان: سيناء: الحلم الصهيوني يتجدد:[١]

- على الرغم من فشل مشروع هرتزل لإقامة مستوطنات يهودية في سيناء في مطلع القرن

(١) http://www.acrseg.org/٢٤٤٦، وينظر:

- كمال حبيب :القضية الفلسطينية تعيد الجدل حول هوية مصر، على موقع:
http://www.islamweb.net/ahajj/article/16242/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9- %D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%84-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B5%D8%B1

العشرين، بغرض أن تكون هذه المستوطنات بداية حقيقية لإقامة الوطن القومي لليهود والدولة الصهيونية الجديدة، إلا أن الحلم الصهيوني في سيناء لم ينقطع أبدًا. ففي تلك الأثناء حدثت مشكلة الحدود ما بين مصر والدولة العثمانية، هذه المشكلة التي عُرفت بعد ذلك باسم «مشكلة طابا الأولى» تمييزًا لها عن مشكلة طابا الأخيرة التي حدثت بين مصر وإسرائيل من أجل ترسيم الحدود، إذ تأزمت العلاقات المصرية العثمانية في عام ١٩٠٦ بسبب رغبة الدولة العثمانية في مد نفوذها إلى خليج العقبة لتأكيد سيطرتها على المشرق العربي، ومناوءة الوجود البريطاني في مصر، استعدادًا للحرب العالمية الأولى التي حدثت عام ١٩١٤. وكانت بريطانيا، التي تحتل مصر آنذاك، ترى ضرورة تحجيم الدور العثماني في مصر، والانتصار لوجهة النظر المصرية بتبعية طابا إلى السيادة المصرية لا إلى السيادة العثمانية. وانتهت هذه المشكلة بنجاح الضغوط البريطانية - المصرية على استانبول وترسيم الحدود المصرية العثمانية.

- من هنا تجددت أحلام المشروع الصهيوني في الاستيطان في سيناء، إذ ظن الصهاينة أن استقرار واطمئنان السياسة البريطانية في مصر سيكون عاملاً هامًا في الضغط على الحكومة المصرية، وأن بدايات الصراع البريطاني العثماني سوف تكون محفزًا يُشجع بريطانيا على إقامة مستوطنات يهودية حاجزة في سيناء من الممكن أن تكون مخلب قط في مواجهة الدولة العثمانية في فلسطين.

- وعلى هذا عادت المشاريع الصهيونية من جديد لتشجيع الاستيطان في سيناء، وكان من أهم هذه المشاريع مشروع كنزفيتش (١٩٠٨- ١٩١٢)، والكسندر كنزفيتش هو إنجليزي يهودي كان بمثابة وكيل القنصل البريطاني في غزة. من هنا بدأ مشروعه الاستيطاني بمحاولة شراء الأراضي في مدينة رفح المصرية، ثم تقدم بمشروعٍ متكامل إلى المعتمد البريطاني في مصر آنذاك «جورست»، في محاولةٍ للحصول على دعم بريطانيا في شراء اليهود للأراضي على الحدود المصرية العثمانية. لكن جورست عاد ليؤكد مجددًا نفس الرد الذي انتهى إليه المعتمد البريطاني السابق كرومر بالنسبة لمشروع هرتزل؛ بأن هذا المشروع الجديد لا يمكن تحقيقه في الظروف الحالية. ولم تصب خيبة الأمل كنزفيتش فاستمر في عمليات شراء الأراضي في المناطق الحدودية بين مصر وفلسطين، على أمل أن تكون هذه الأراضي هي نقطة الانطلاق للدولة

الصهيونية الوليدة. ويرجح البعض بأن كنزفيتش قد نجح في نهاية عام ١٩١١ في شراء حوالي عشرة آلاف فدان بهدف جذب المستوطنين اليهود إليها.

وقد أثارت هذه العمليات المريبة في شراء الأراضي من جانب اليهود الريبة والشك في الأوساط المصرية والبريطانية وحتى العثمانية في استانبول. ففي عام ١٩١٢ يرسل «كتشنر»، المعتمد البريطاني، رسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية يشير فيها إلى رفض الحكومة المصرية المستمر لعمليات الاستيطان في سيناء، وإلى أنه نفسه قد أبلغ كنزفيتش أن شراء اليهود للأراضي قرب الحدود المصرية الفلسطينية هو أمر غير شرعي، وأن إجراءات الشراء لا يمكن تسجيلها قانونيًا. وفي استانبول يرسل القائم بالأعمال في السفارة البريطانية هناك رسالة إلى لندن مفادها عدم قانونية شراء كنزفيتش للأراضي على الحدود، وأن هذا الأمر يحرج الحكومة البريطانية. وفي رسالةٍ تالية تطالب السفارة البريطانية في استانبول السلطات المختصة بإيقاف شراء الأراضي لصالح اليهود على الحدود الفلسطينية المصرية، نظرًا لحساسية هذا الأمر على المستوى الدولي، ومنع إنشاء مستوطنات قرب الحدود المصرية العثمانية.

من هنا تجمعت كل العوامل الدولية والمحلية لإفشال مشاريع الاستيطان اليهودي في سيناء؛ فبالنسبة لمصر انتبهت الحكومة المصرية مبكرًا لخطورة بيع الأراضي في المناطق الحدودية وأصدرت قرارات بتحريم تملُّك الأراضي في هذه المناطق بالنسبة للأجانب، وعدم جواز انتقال حق الانتفاع إلا بموافقة وزارة الحربية لحساسية هذه المناطق وتبعيتها لشئون الحدود، بل إنها اشترطت حتى لتملك المصريين أنفسهم العقارات والأراضي في تلك الجهات الحدودية، ضرورة الحصول على إذن من وزير الحربية. وبالنسبة لبريطانيا لم ترحب كثيرًا بفكرة إنشاء مستوطنات في سيناء، لأنها أدركت أن ذلك سيزيد من تعقيدات الأجواء الدولية، لا سيما وأن العالم آنذاك كان يعيش على دقات طبول الحرب العالمية الأولى. فضلاً عن محاولة بريطانيا إبعاد أي توتر عن منطقة قناة السويس التي أصبحت منطقة استراتيجية بريطانية، خاصةً مع هبوب رياح الحرب العالمية الأولى. وبالنسبة لاستانبول كانت مواجهة مشاريع الاستيطان اليهودي قد أصبحت الورقة الأخيرة في يدها لتأكيد سيادتها ونفوذها في المشرق العربي، وخاصةً في فلسطين، وتجميل وجهها أمام العرب والعالم الإسلامي.

- وهكذا مُنيت جميع مشاريع الاستيطان اليهودي المبكرة في سيناء بالفشل نتيجة يقظة الحكومة المصرية، وتعقيدات السياسة الدولية. لكن الحلم الصهيوني في سيناء لن ينتهي بل سيأخذ أبعادًا جديدة بعد صدور وعد بلفور (١٩١٧) بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وعلى الرغم من تركز الجهود الصهيونية منذ ذلك الحين على فلسطين لإقامة الوطن القومي والدولة اليهودية، إلا أن سيناء ستظل جزءًا من الحلم الصهيوني بدولة إسرائيل الكبرى؛ إذ لن تنسى إسرائيل أبدًا أن سيناء، وفقًا للعقيدة الصهيونية، هي «فلسطين المصرية».

الخاتمة: من نتائج هذا البحث:

- أن قضية التوسع الاحتلالي الصهيوني تتمثل عند أصحابها في أمرين رئيسين: العقيدة الدينية التي ينطلقون منها، والصراع الوجودي الذي يحافظون عليه.
- أن الفكر لا يقاوم إلا بالفكر؛ تمامًا كما أن السلاح لا يقاوم إلا بالسلاح!
- أن الذي يدعُ هويتَه نهبًا للآخر؛ يرسمها، ويحرفها، ويصدرها: فإنه لا يظلم هويته فحسب، بل يسعى من حيث لا يشعر للقضاء على هذه الهوية الذاتية؛ ليشكلها الآخر العدو المحتل!!

مراجع البحث

- إسرائيل شاحاك - الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - ترجمة رضا سلمان - ط٤ - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - ١٩٩٧م.

- ديفيس، م: وطن إسرائيل في أمريكا [بيت يسرائيل بأمريكا] دار نشر ماجنس، الجامعة العبرية، القدس ١٩٧٠.

- رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت أغسطس ١٩٩٧م.

- رشاد عبد الله الشامي، الوسيط في علم الأديان، ط١، دار الفكر المعاصر، صنعاء ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- عابد توفيق الهاشمي، العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها - ط١ - دار اقرأ - اليمن ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- محمد نعمان جلال، مجدي المتولي، هوية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، إصدارات مكتبة الأسرة، ١٩٩٧.

- هورست كلينغل - تاريخ سوريا السياسي ٢٠٠٠-٣٠٠ ق.م، ترجمة سيف الدين دياب ط١- دار المتنبي دمشق - ١٩٩٨م.

- هيرمان شمعون. الهوية اليهودية .. نظرة سيكولوجية اجتماعية، زهوت يهوديت . مباط بسيكولوجي حفراتي، المكتبة الصهيونية، القدس، ١٩٧٩.

Dr Miller: The study of social reltionhip situatio, jdentity, and social intraction, in s.kock phcycology: A study and society, new york, Mc Grawhill, 1963